

ذكريات

شيرلوك هولمز

(٤)

مغامرة موظَّف البورصة

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «ستراند» الشهرية
في عدد آذار (مارس) ١٨٩٣

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسّون



الأجيَال
للترجمة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلاّت الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



وفي عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور دويل في حرب البُويِر (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقب «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته

إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

* * *



شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من برباودوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِية القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرّفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

* * *



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة») في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على «بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد

التبّت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليِرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقّاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالَم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

❋ ❋ ❋



رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ روايات هولمز وقصصَه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطَبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأً في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسلة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليِرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دورْ ستيل، ومنهم و هـ هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

* * *

مغامرة موظَّف البورصة

بعد زواجي بفترة قصيرة اشتريت عيادة في منطقة بادنغتون. وكان عمل الدكتور فاركهار العجوز (الذي اشتريت منه العيادة) ممتازاً في وقت من الأوقات، ولكن تقدم سنّه ومرض الشلل الرعّاش الذي يعاني منه أضعفا عمله بدرجة كبيرة؛ فمن الطبيعي أن يعتقد الناس أن مَن يتصدى لعلاج الآخرين لا بدّ أن يكون سليماً، وغالباً ما ينظرون بعين الشكّ إلى من لا يستطيع علاج حالته الخاصّة بالأدوية التي يصفها لمرضاه.

وهكذا فحين ضَعُفَ عمل سلَفي هبطت قيمة عيادته، حتى إن عائداتها -حين اشتريتها منه- كانت قد هبطت من ألف ومئتَي جنيه إلى نحو ثلاثمئة جنيه في العام. ولكنني كنت واثقاً من شبابي وقوّتي، وكنت مقتنعاً بأن العيادة سترجع إلى ازدهارها السابق في خلال سنوات قليلة.

ولمدة ثلاثة أشهر بعد أن تولّيت العيادة استغرقت في العمل تماماً، ولم أعُد أرى صديقي هولمز إلا قليلاً، فلم أستطع الذهاب إلى منزله في

شارع بيكر لكثرة انشغالي، أما هو فلم يكن يذهب إلى أي مكان إلا إذا كان لأمر متعلق بالعمل، ولذلك فقد فوجئت في صباح أحد أيام حزيران (يونيو)، وأنا جالس أقرأ المجلة الطبية البريطانية بعد الإفطار، عندما سمعت صوت الجرس ثم صوت صديقي القديم العالي الحادّ النبرات، حيث قال وهو يقطع الغرفة: عزيزي واطسون، أنا سعيد جداً برؤيتك، وأنا على ثقة بأن السيدة واطسون قد تعافت من كل الإثارة التي سبّبَتها مغامرة رمز الأربعة.

قلت وأنا أسلّم عليه بحرارة: شكراً لك، نحن بخير.

أكمل وهو يجلس على الكرسي الهزّاز: كما أتمنّى أيضاً أن لا تكون العناية بالعيادة قد صرفتك عن الاهتمام الذي اعتدتَ أن تبديه بالمشكلات الاستنتاجية الصغيرة.

أجبت: بالعكس، فبالأمس فقط كنت أراجع ملاحظاتي القديمة وأصنّف بعضاً من النتائج السابقة.

- إذن آمل أن لا تعتبر مجموعتك منتهية.

- بل أنا أتمنى أن أحظى بالمزيد من بعض تلك الخبرات.

- اليوم على سبيل المثال؟

- نعم، اليوم إذا أردت.

- حتى لو اضطُررت إلى الذهاب إلى برمنغهام؟

- بالتأكيد، إذا كان هذا ما تريد.

- والعيادة؟

- أنا أعمل في عيادة جاري عندما يكون غائباً، وهو دائماً على استعداد لردّ الدَّين.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

- رائع، لا شيء أفضل من ذلك.

قال هولمز وهو يميل إلى الخلف في كرسيّه وينظر إليّ باهتمام من تحت جفنيه النصف المغمضَين: ألاحظ أنك كنت مريضاً مؤخَّراً؛ إن برد الصيف متعب قليلاً.

- لقد لزمت المنزل لمدّة ثلاثة أيام خلال الأسبوع الماضي بسبب نوبة برد شديدة، ولكنني كنت أظنّ أنني تخلصت من أي أثر لها.

- لقد تخلصت منها بالفعل وتبدو بصحّة جيدة.

- كيف عرفت بالأمر إذن؟

- يا صديقي العزيز، أنت تعرف أساليبي.

- استنتجتَ الأمر إذن؟

- بالتأكيد.

- وممَّ؟

- من خُفَّيك.

ألقيت نظرة سريعة على خفَّيّ الجديدَين المصنوعَين من الجلد اللذين كنت أرتديهما ثم

قلت: كيف...؟

ولكن هولمز أجاب على سؤالي قبل أن أسأله فقال: خفّاك جديدان، فأنت لم تحصل عليهما إلا منذ أسابيع قليلة، والنعل الذي توجّهه ناحيتي محروق قليلاً، وقد فكّرتُ للحظة أنه ربما ابتلّ واحترق وأنت تجففه، ولكن توجد بالقرب من مشط القدم ورقة دقيقة دائرية عليها اسم الصانع، وكان البلل سيزيلها بالطبع. إذن فقد كنت تجلس وقدماك ممدودتان ناحية النار، ولن يفعل ذلك شخص في كامل صحّته في شهر حزيران (يونيو) حتى لو كان شهراً ممطراً كهذا.

كسائر تحليلات هولمز المنطقية بدا الأمر بسيطاً بعد شرحه. وقد قرأ هولمز أفكاري فابتسم ابتسامة مصبوغة بالمرارة ثم قال: أخشى أنني أكشف نفسي حين أقوم بالشرح، فالنتائج تكون أكثر وقعاً على النفس دون معرفة التعليل. حسناً، هل أنت مستعد للذهاب إلى بيرمنغهام؟

- بالتأكيد، ولكن ما هي القضيّة؟

- ستسمعها كلها في القطار، فعميلي في عربة بالخارج. هل تستطيع المجيء حالاً؟

- في دقائق معدودة.

كتبت لجاري ملاحظة مقتضبة، ثم أسرعت إلى الدور العلوي لشرح الأمر لزوجتي، وبعد ذلك لحقت بهولمز على عتبة الباب.

أومأ هولمز إلى اللوح النحاسي وقال: إن جارك طبيب.

- أجل، وقد اشترى أيضاً عيادة كما فعلت.

- أكانت عيادة قديمة التأسيس؟

- نعم، مثل عيادتي بالضبط، فقد بدأ كلاهما مع بناء المنازل.

- لقد حصلت على أحسن الاثنتين إذن؟

- أعتقد ذلك، ولكن كيف عرفت؟

- عن طريق الدّرَج يا بني، فدرَجك أكثر تآكلاً من درَج عيادته بثلاث بوصات. آه، ها هو عميلي السيد هال بايكروفت. دعني أقدّمك إليه. هيّا أيها السائق، فلا وقت نضيّعه قبل موعد القطار.

كان السيد الذي وجدت نفسي في مواجهته شاباً قوي البنية ذا بشرة نضرة ووجه صريح وشارب

أشقر خفيف مشعَّث، وكان يرتدي قبّعة مرتفعة شديدة اللمعان وبدلة أنيقة سوداء اللون أعطته مظهراً مناسباً كشاب أنيق من المدينة، وكان وجهه الدائري المتورد يبدو وكأن المرح من طبيعته، ولكن زوايا فمه تميل إلى الأسفل في كآبة شبه كوميدية كما بدا لي. ولم أستطع معرفة المشكلة التي قادته إلى شيرلوك هولمز حتى ركبنا جميعاً في عربة الدرجة الأولى وانطلقنا إلى بيرمنغهام.

قال هولمز: أمامنا رحلة سوف تستغرق سبعين دقيقة، وأريدك -يا سيد بايكروفت- أن تخبر صديقي بتجربتك الشيّقة بالتفصيل الذي أخبرتني به منها أو بتفصيل أكثر إذا أمكن، فسيفيدني أن أسمع مرة أخرى تعاقب الأحداث. إنها قضيّة قد تثبت شيئاً أو لا تثبت يا واطسون، ولكن أياً كان الحال فهي على الأقلّ تُظهر الخصائص الموضوعية الغير العادية التي نقدّرها أنا وأنت. والآن يا سيد بايكروفت لن أقاطعك ثانية.

نظر رفيقنا الشاب إليّ وفي عينيه بريق وقال: أسوأ ما في القصة أنني أُظهر نفسي كشخص أحمق مرتبك. بالطبع يمكن أن تسير الأمور على خير ما يرام، وساعتها سأرى أنه لم يكن بإمكاني فعل أي

شيء آخر غير ما فعلت، أما إذا سارت الأمور على عكس ذلك ففقدت كل شيء ولم أحصل على شيء في المقابل فسوف أشعر بمدى ضعفي وحماقتي. أنا لست جيداً في سرد القصص يا دكتور واطسون، ولكن ما حدث كان كالتالي:

كنت أعمل في مؤسسة كوكسن، وقد وقعت هذه المؤسسة في أوائل الربيع ضحية مضاربات خاسرة وسقطت سقطة هائلة. وكنت قد عملت فيها لمدة خمس سنوات، حتى إن كوكسون الكبير أعطاني شهادة توصية جيدة حين انهارت، وبالطبع تم التخلص من كل الموظفين في المكتب، وكان عددنا سبعة وعشرين.

وقد حاولت الحصول على عمل هنا وهناك ولكن دون جدوى، حيث كان الكثير من الزملاء في نفس وضعي وكان السوق راكداً لوقت طويل. وبما أنني كنت أتقاضى ثلاثة جنيهات في الأسبوع في كوكسن فقد وفّرت منها نحو سبعين جنيهاً، ولكن سرعان ما أتيت على كل مدّخَراتي وأصبحت بالكاد أجد ثمن الطوابع والمظاريف التي سألصقها عليها لأردّ على إعلانات العمل. وبلي حذائي من كثرة ارتقاء درجات المكاتب، وبدا أن حصولي على

عمل أقرب إلى المستحيل!

وأخيراً وجدت وظيفة شاغرة لدى شركة ماوسن وويليامز، وهي شركة كبيرة تعمل في البورصة في شارع لومبارد. وأنا أعرف أن الشركات الاقتصادية خارج اختصاصك، ولكني أؤكد لك أنها تكاد تكون أغنى شركة في لندن. وكان لا بد من الردّ على الإعلان بإرسال الخطابات فقط، فأرسلت شهادة التوصية وطلب الوظيفة، ولكن دون أدنى أمل في الحصول على العمل، وبعدها جاءني الردّ ليقول إنني إذا ذهبت في يوم الإثنين فيمكنني استلام واجباتي الجديدة في الحال، هذا إذا كان مظهري مُرضياً.

لا أحد يعرف على وجه التحديد كيف تسير هذه الأمور، فالبعض يقول إن المدير يُدخِل يده في كومة ويأخذ أول طلب يمسك به! حسناً، لقد كان نصيبي في العمل في تلك المرة، ولا أظنّ أنني سأشعر أبداً بمثل تلك السعادة مرة ثانية، فالراتب كان يزيد جنيهاً عما كنت أتقاضاه من قبل، والواجبات الوظيفية هي نفسها التي كنت أقوم بها في شركة كوكسن.

والآن أصل إلى الجزء المريب في الأمر؛ فقد

كنت أسكن في إحدى الغرف المستأجَرة بالقرب من طريق هامبستد، في العمارة رقم ١٧ بشارع بوتر، وكنت جالساً أشرب الشاي في ذلك المساء بعد أن وعدوني بالعمل عندما جاءت صاحبة المنزل ومعها بطاقة مطبوع عليها اسم آرثر بينَر، ومهنته وكيل مالي. ولم أكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل، ولم أستطع تصوّر السبب الذي أراد رؤيتي من أجله، ولكني طلبت منها أن تدعوه إلى الدخول بالطبع، وحين دخل وجدته رجلاً متوسط الحجم داكن الشعر والعينين ذا لحية سوداء وأنف يلمع قليلاً،



W. H. Hyde 1893 رسم و هـ هايد ١٨٩٣

وكانت له طريقة سريعة مميّزة ويتحدث بحدة كمن يعرف أهمية الوقت.

قال: أنت السيد هال بايكروفت كما أعتقد؟

أجبته وأنا أدفع إليه كرسياً للجلوس: أجل يا سيدي.

- وكنت تعمل في مؤسسة كوكسن من قبل؟

- نعم يا سيدي.

- والآن انضممت إلى ماوسن؟

- تماماً.

قال: حسناً، الحقيقة أنني سمعت عن قدراتك المالية بعض القصص غير العاديّة. هل تذكر باركر الذي كان مديراً في كوكسن؟ إنه لا يكف عن الحديث عنك.

كنت سعيداً بسماع ذلك إذ كنت دائماً شديد الالتزام في عملي، ولكن لم أكن أحلم بأن يتحدثوا عني في المدينة بتلك الطريقة!

قال: هل تملك ذاكرة جيّدة؟

قلت بتواضع: إلى حد كبير.

سأل قائلاً: هل بقيت على اتصال بالسوق خلال الفترة التي تركت فيها العمل؟

- نعم، فأنا أقرأ كل صباح قائمة أسهم البورصة.

صاح: هذا يُظهِر مواظبة حقيقية، وهذا هو طريق النجاح. إنك لن تمانع إذا اختبرتك، أليس كذلك؟ لنرَ؛ كيف هي إيرشايرز؟

- مئة وستة وربع إلى مئة وخمسة وسبعة أثمان.

- ونيوزيلندا المتحدة؟

- مئة وأربعة.

- وبروكن هيلز البريطانية؟

- من سبعة إلى سبعة وستة.

صاح وهو يرفع يديه: رائع، هذا كما سمعت تماماً! أنت أفضل كثيراً من أن تكون موظفاً لدى ماوسن يا بني.

وقد أدهشني انفعاله المفاجئ فقلت: حسناً، لا

يقدّرني الآخرون كما يبدو أنك تفعل يا سيد بينر، فقد حاربت بشدّة للحصول على هذا العمل، وأنا سعيد به.

- هراء يا رجل، يجب أن تكون أكثر طموحاً، فأنت لست في مكانك الحقيقي. سأخبرك الآن



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

كيف سيسير الأمر معي. إن ما أعرضه عليك أقل من قدراتك قليلاً، ولكن إذا قورن بوظيفة ماوسن فهو كالنور بعد الظلام. متى ستذهب إلى مقر شركة ماوسن؟

- يوم الإثنين.

- أراهن أنك لن تذهب إلى هناك على الإطلاق.

- لن أذهب إلى شركة ماوسن؟!

- نعم يا بني، فبحلول ذلك اليوم ستكون مديراً لشركة فرانكو مدلاند للأدوات المعدنية المحدودة التي لها مئة وأربعة وثلاثون فرعاً في مدن وقرى فرنسا، كما أن لها فرعاً في بروكسل وآخر في سان ريمو.

أدهشني ذلك وقلت: لم أسمع عنها قط.

- من المرجَّح أنك لم تسمع عنها، فقد تمّ التكتم على الأمر لأن الاكتتاب على رأس المال قد جرى بسرّية، فهذا المشروع جيد جداً لدرجة أنهم لم يريدوا للعامة أن يكتتبوا به، وأخي هاري بينر هو المتعهد، وقد التحق بمجلس الإدارة بعد توزيع الحصص كمدير تنفيذي، وعندما عرف أنني

في زيارة خاطفة إلى المدينة طلب مني أن أختار شاباً طَموحاً مشهوداً له بالكفاءة، وقد أخبرني بيكر عنك، وهذا ما أحضرني إلى هنا الليلة. بداية يمكننا أن نعرض عليك مبلغاً حقيراً يقدّر بخمسمئة جنيه فقط.

صرخت قائلاً: خمسمئة في العام!

- في البداية فقط، ولكنك ستحصل على عمولة مبيعات تقدَّر بواحد في المئة من مشتريات عملائك، وأعدك بأن تلك العمولة قد تفوق الراتب نفسه.

- ولكني لا أعرف عن الأدوات المعدنية أي شيء.

- هراء يا بني، فأنت خبير بالأرقام.

أخذ رأسي يطنّ واستطعت بصعوبة البقاء جالساً في مقعدي، ولكن فجأة بدأ الشكّ يساورني فقلت: يجب أن أكون صريحاً معك، صحيح أن ماوسن سيعطيني مئتين فقط ولكنه آمن، وأنا حقاً لا أعرف عن شركتك إلا القليل.

صاح من فوره من السرور وقال: آه، ذكي،

أنت ذكي... أنت الرجل الذي يصلح لنا! لا يمكنني مناقشتك، وأنت أيضاً على حق. ها هي ورقة بمئة جنيه، وإذا اعتقدت بأننا يمكن أن نعمل معاً فضعها في جيبك كدفعة مقدَّمة من راتبك.

- هذا غاية في الكرم! متى أستطيع أن أتسلّم عملي؟

- تعالَ إلى بيرمنغهام غداً في الواحدة، وأنا معي ملحوظة هنا في جيبي ستأخذها إلى أخي. ستجده في المبنى رقم ١٢٦ بشارع كوربُريشن حيث تقع المكاتب المؤقَّتة للشركة، وبالطبع يجب أن يؤكد توظيفك، ولكن فيما بيننا سيكون الأمر على ما يرام.

قلت: لا أعرف حقاً كيف أعبّر لك عن امتناني يا سيد بينر!

- لا داعي للشكر يا بني، فأنت لم تحصل إلا على ما تستحقّ، وإن كان أمامنا أمر أو اثنان من الشكليات التي يجب عليّ أن أرتبها معك. توجد هنا ورقة بجانبك أرجو أن تكتب فيها «لديّ الرغبة التامة في العمل مديراً إدارياً لشركة فرانكو مدلاند للأدوات المعدنية المتحدة براتب خمسمئة جني

كحد أدنى».

وعندما نفّذت ما طلبه مني وضع الورقة في جيبه وقال: أمر آخر؛ ماذا تنوى أن تفعل مع شركة ماوسن؟

كنت قد نسيت كل شيء عنها في غمرة فرحتي بالعمل الجديد فقلت: سأكتب إليهم وأستقيل.

- هذا هو الأمر الذي أرجو أن لا تفعله أبداً؛ لقد حدث بيني وبين مدير ماوسن شجار في التنافس عليك، فقد ذهبت لأسأله عنك فكان مُهيناً جداً واتهمني بمحاولة انتزاعك من خدمة الشركة، وعلى إثر بعض الجدال فقدت أعصابي وقلت له: "إذا أردت رجالاً مناسبين فيجب أن تدفع لهم جيّداً"، فقال: "إن الرجل سيفضّل راتبنا الصغير على راتبكم الكبير"، قلت له: "أراهنك بخمسة جنيهات على أنه حين يسمع عرضي لن تسمع عنه أبداً بعد ذلك"، فقال: "موافق، لقد انتشلناه من الحضيض ولن يتركنا بهذه السهولة"... كانت تلك كلماته بالضبط.

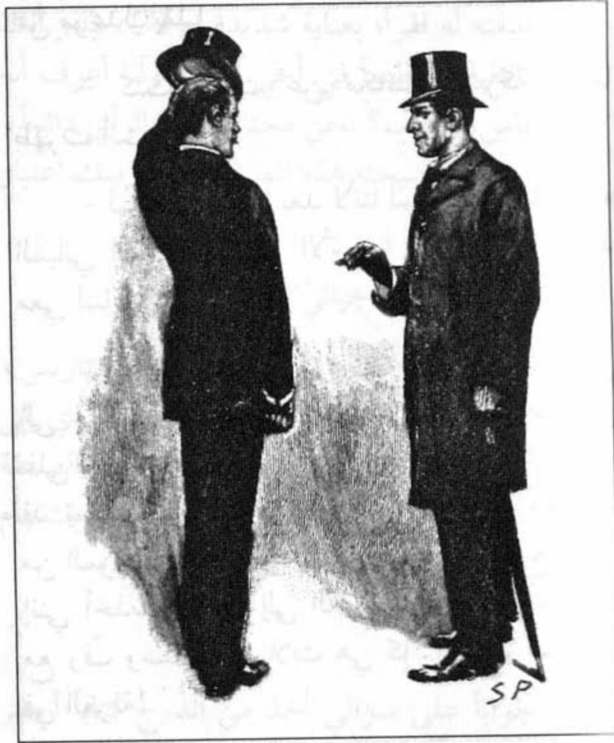
صحت قائلاً: ذلك الوقح النذل! أنا لم أرَه في حياتي، فلماذا يجب عليّ أن أراعيه بأية طريقة؟ بالتأكيد لن أكتب إليه إذا كنت تفضّل ذلك.

فقال وهو يقوم عن مقعده: سأعتبر ذلك وعداً.

حسناً، أنا سعيد لأني حصلت على رجل بارع جداً لأخي، ها هو مقدَّم الراتب مئة جنيه، والخطاب. فلتكتب العنوان «١٢٦ ب شارع كوربُريشن». تذكّر أن ميعادك غداً في الواحدة. تصبح على خير، وأرجو أن تحصل على كل الحظّ الذي تستحقّه.

كان هذا تقريباً كل ما دار بيننا على قدر ما أتذكر، ولك أن تتخيل -يا دكتور واطسون- سعادتي بهذا الحظ الغير العاديّ لدرجة أنني جلست حتى منتصف الليل أهنّئ نفسي بهذا الأمر. وفي اليوم التالي انطلقت إلى بيرمنغهام في قطار سيصل قبل ميعادي بكثير، وأخذت أشيائي لأضعها في فندق في شارع نيوستريت، وبعدها ذهبت إلى العنوان الذي أخذته من الرجل. كان وصولي قبل الموعد بربع ساعة، ولكنني فكّرت بأن ذلك لن تكون له أهمية كبيرة. كان مدخل المبنى رقم «١٢٦ ب» ممرّاً بين محلّين كبيرَين يؤدّي إلى درجات حجرية ملتفّة تقود إلى الكثير من الشقق التي تؤجَّر كمكاتب للشركات أو لرجال الأعمال، وكانت أسماء شاغلي الشقق مكتوبة في الأسفل على الجدار، ولم يكن اسم شركة فرانكو مدلاند للأدوات المعدنية المحدودة

موجوداً! فوقفت لعدّة دقائق وأنا أشعر بقلبي وقد سقط من القلق بين قدمَيّ، ورحت أتساءل ما إذا كان الأمر كله مجرّد خدعة كبيرة، وفي تلك اللحظة جاء رجل ونادى اسمي. كان يشبه الشابّ الذي رأيته في الليلة السابقة، البنية نفسها والصوت كذلك،



Sydney Paget 1893 — رسم سدني باجيت ١٨٩٣

ولكنه كان حليقاً وأقل شعراً.

سألني: هل أنت السيد هال بايكروفت؟

قلت: نعم.

- آه، لقد كنت أتوقع مجيئك، ولكنك بكّرت عن موعدك بقليل.

- كنت أبحث عن مكاتب الشركة عندما ظهرت أنت.

- لم نعلّق اسمنا بعد لأننا لم نحصل على هذه المباني المؤقتة إلا في الأسبوع الماضي. فلتصعد معي لنناقش الأمر.

تبعته إلى آخر درَج عال جداً، وهناك قادني إلى غرفتين خاليتين صغيرتين مليئتين بالتراب ليس على أرضهما سجّاد ولا على جدرانهما ستائر! كنت قد تخيلت مكاتب كبيرة وطاولات برّاقة وصفوفاً من الموظفين كما تعودت من قبل، وأستطيع القول إنني أخذت أحدّق إلى الكرسيين والطاولة، وهذه مع رفّ وسلة للمهملات هي كل الأثاث الموجود في الغرفة!

قال الشخص الذي تعرفت عليه حديثاً حين

رأى الوجوم البادي على وجهي: لا تجعل همّتك تفتر يا سيد بايكروفت، فروما لم تُبْنَ في يوم واحد. وبالرغم من وجود الأموال الوفيرة لدعمنا فإننا لم ننفق بعدُ الكثير على المكاتب. تفضل بالجلوس ودعني أرَ خطابك.

قدمته له فقرأه بعناية شديدة ثم قال: يبدو أنك تركت انطباعاً عظيماً في أخي آرثر، وأنا أعرف أنه حكَم قاس. أتعرف؟ نحن مختلفان في الرأي دائماً، ولكني سأتبع نصيحته هذه المرة، فأرجو منك اعتبار نفسك مرتبطاً بنا.

سألت: وما واجباتي؟

- ستدير في نهاية الأمر مستودعاً في باريس، وهو الذي سيصبّ شلاّلاً من الفخّار الإنكليزي إلى مئة وأربعة وثلاثين وكيلاً في فرنسا. ستتم الصفقة خلال أسبوع، وفي أثناء ذلك ستبقى في بيرمنغهام وتجعل من نفسك مفيداً.

- كيف؟

جواباً على سؤالي أخذ من الدُّرج كتاباً أحمر كبيراً وقال: هذا دليل باريس وفيه المهنة بجانب

الاسم، أريدك أن تأخذه إلى المنزل وتضع علامة على كل بائعي الأدوات المنزلية وعناوينهم، فسوف يكون من المفيد جداً أن أحصل على هذه البيانات.

قلت مقترحاً: لا بدّ من وجود قوائم رسمية.

- لا يُعتمد عليها، فنظام هذه القوائم مختلف عنا. اعمل عليها بجِدّ لأحصل على القوائم بحلول ظهر الإثنين. إلى اللقاء يا سيد بايكروفت، وإذا داومت على إظهار الحماسة والذكاء فسوف تجد أن الشركة مكان جيد للعمل.

عدت إلى الفندق وأنا أحمل كتاباً كبيراً تحت ذراعي ومشاعر متناقضة في قلبي؛ فمن ناحية كنت بالتأكيد مرتبطاً معهم وفي جيبي مئة جنيه من راتبي، ومن ناحية أخرى كان منظر المكاتب وغياب الاسم عن الجدار وغير ذلك من المسائل التي تفاجئ رجل الأعمال، كانت كلها قد تركت في نفسي انطباعاً سيئاً عن وضع الشركة.

على أية حال ليحدث ما يحدث، فقد حصلت على المال، لذلك بدأت عملي بهمّة فأمضيت طوال يوم الأحد في عمل دَؤوب. ورغم جهدي كله فقد حل الموعد المضروب في يوم الإثنين ولم أصل

إلا إلى حرف الدال فقط، فذهبت إلى ربّ عملي لأجده في نفس الغرفة المجرّدة من الأثاث، وطلب مني أن أستمرّ في العمل حتى يوم الأربعاء ثم أعود مرة أخرى. وبحلول الأربعاء لم أكن قد انتهيت بعد، فمضيت في العمل حتى الجمعة، أي أمس، ثم أخذتها إلى السيد هاري بينر فقال: شكراً جزيلاً، أخشى أنني قد أسأت تقدير صعوبة المهمّة. ستكون هذه القائمة بالغة النفع بالنسبة إلينا.

قلت: لقد استغرقت بعض الوقت.

قال: والآن أريدك أن تقوم بعمل قوائم لمتاجر الأثاث لأنها تقوم كلها ببيع الفخار.

- حسناً.

- ويمكنك الحضور غداً مساء في الساعة السابعة لتطلعني على حجم إنجازك، ولا تُجهِد نفسك بالعمل، فقضاء ساعتين في التسلية مساء اليوم لن يؤذيك بعد عملك الطويل.

قال ذلك وضحك هو يتكلم، فلاحظت بانفعال شديد أن سنّه الثانية إلى اليسار محشوّة بالذهب بطريقة سيّئة.

فرك هولمز يديه في سرور، أما أنا فقد حدّقت إلى عميلنا بدهشة، فقال: يمكنك أن تبدي دهشتك يا دكتور واطسون، ولكن هذا هو ما حصل: حينما كنت أتكلم مع الرجل الآخر في لندن وعندما ضحك لأنني لن أذهب إلى شركة ماوسن تصادف أن لاحظت أن سنّه المشابهة محشوّة بالطريقة ذاتها، وخطف نظري لمعان الذهب في الحالتين. وكما ترى، فحين أفكر في ذلك -بالإضافة إلى أن الصوت والبنية متشابهان- لا يخالجني شك في أنه كان الشخص نفسه، أما عن الأشياء التي بدت مختلفة فيمكن تغييرها بموس أو بشعر مستعار. وبالطبع فقد تتوقع أن الأخوين متشابهان، ولكن ليس إلى درجة أن يكون عندهما السنّ نفسها محشوّة بالطريقة نفسها!

حسناً، أعود إلى قصتي. بعدما ودّعني وجدت نفسي في الشارع لا أعرف رأسي من قدمَيّ، وقد عدت إلى الفندق فوضعت رأسي في حوض من الماء البارد وحاولت التفكير في الأمر، فلماذا أرسلني من لندن إلى بيرمنغهام؟ ولماذا وصل قبلي؟ ولماذا كتب بنفسه خطاباً إلى نفسه؟ كان هذا كله أكثرَ من قدرتي على الاستيعاب فلم أفهم منه شيئاً.

وفجأة خطر لي أن ما يصعب عليّ فهمه قد يكون واضحاً للسيد شيرلوك هولمز، ولم أضيّع وقتاً فركبت قطار الليل لأراه في الصباح وأصطحبكما معي إلى بيرمنغهام.

ساد الصمت بعد أن أنهى موظف سمسار البورصة سرد قصته المدهشة، وبعدها رفع شيرلوك هولمز عينيه إليّ واضطجع إلى الخلف على الوسائد بوجه تكسوه السعادة، ثم قال: الأمر رائع، أليس كذلك يا واطسون؟ في هذه القصة بعض النقاط التي تسرّني، وأعتقد أنك تتفق معي أن مقابلة مع السيد آرثر هاري بينر في المكاتب المؤقتة لشركة فرانكو مدلاند ستكون تجرِبة مثيرة للاهتمام لكلينا.

سألته: ولكن كيف ستفعل ذلك؟

قال هال بايكروفت بسرور: هذا سهل جداً، فأنتما صديقان لي ترغبان في العمل، فماذا يمكن أن يكون أكثر طبيعية من أن آخذكما لمقابلة المدير التنفيذي؟

قال هولمز: هذا صحيح بالطبع، فأنا أرغب في مقابلة هذا السيد ومعرفة ما إذا كنت أستطيع أن أستخلص أي شيء من لعبته الصغيرة، فما الصفات

التي تملكها يا صديقي لتجعل خدماتك مميَّزة بهذا القدر؟ وهل من الممكن أن...؟

سكت هولمز فجأة وراح ينظر إلى الفراغ خارج النافذة، ولم نستطع حمله على النطق بكلمة ثانية حتى وصلنا إلى شارع نيوستريت.

* * *

في الساعة السابعة تماماً من ذلك المساء كنا نمشي ثلاثتنا في شارع كوربُريشن متجهين إلى مكاتب الشركة. قال عميلنا: لا جدوى من الوصول قبل الميعاد، فهو يأتي فقط ليقابلني على ما يبدو، فالمكان يبقى مهجوراً حتى الساعة التي يحدّدها لي.

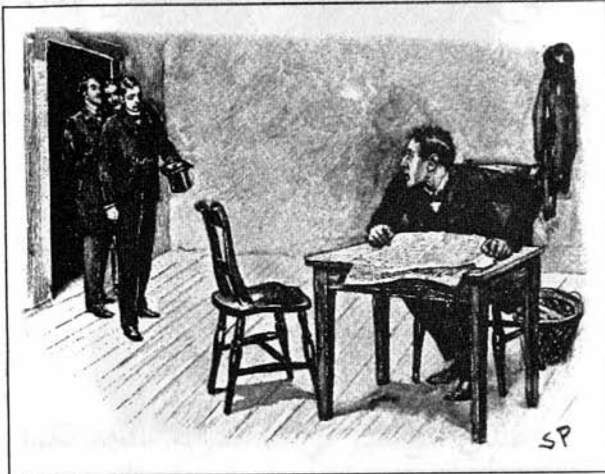
علق هولمز قائلاً: هذا أمر يثير الشك.

صاح الموظف: يا إلهي! لقد أخبرتك، وها هو يمشي أمامنا.

أشار إلى رجل أنيق صغير الحجم أسمر اللون يمشي بسرعة على الجانب الآخر من الطريق، وبينما نحن نراقبه نادى صبيّاً كان يصيح معلناً عن الطبعة الأخيرة لجريدة المساء ويجري قافزاً بين عربات

الأجرة فاشترى منه جريدة وأمسكها بيده، ثم تلاشى داخل المدخل، فصاح هال بايكروفت: ها هو يذهب، وتلك هي مكاتب الشركة التي دخل إليها. فلتأتيا معي وسأرتّب الأمر بكل سهولة.

تبعناه وصعدنا خمسة أدوار حتى وجدنا أنفسنا واقفين أمام باب نصف مفتوح، وعليه قرع عميلنا فسمعنا صوتاً من الداخل يطلب منا الدخول، فدخلنا إلى غرفة عارية غير مفروشة كما وصفها هال بايكروفت، وقد جلس الرجل الذي رأيناه في الشارع إلى الطاولة الوحيدة وجريدة المساء مبسوطة



Sydney Paget 1893 — رسم سدني باجيت ١٨٩٣

أمامه، وحين نظر إلينا بدا لي أنني لم أرَ من قبل وجهاً يحمل كل هذا القدر من الحزن ومن شيء آخر أكبر من الحزن، من الرعب النادر الوجود! لمع حاجباه من العرق، وكان وجهه باهتاً شديد البياض وعيناه هائجتين شاردتين، ونظر إلى الموظف وكأنه لم يتعرف عليه، وعرفت من الدهشة المرتسمة على وجه مرشدنا أن هذا ليس بأية حال المظهر المعتاد لرئيسه.



رسم و هـ هايد ١٨٩٣ W. H. Hyde 1893

علّق قائلاً: تبدو مريضاً يا سيد بينر؟

أجاب الآخر وهو يبذل مجهوداً ليتمالك نفسه ويلعق شفتيه الجافتين قبل أن يتكلم: أجل، لست بصحّة جيدة. مَن هذان السيدان اللذان أحضرتهما معك؟

قال الموظف بطلاقة: هذا هو السيد هاريس وهذا هو السيد برايس، وهما صديقان لي لهما خبرة جيدة ولكنهما لا يعملان منذ فترة، ويأملان أن تجد لهما مكاناً شاغراً ليعملا في الشركة.

صاح السيد بينر بابتسامة مروّعة: ممكن جداً، ممكن جداً؛ لا شكّ أننا سنستطيع العثور على عمل يناسبكما. ما هو تخصّصك يا سيد هاريس؟

قال هولمز: أنا محاسب.

- آه، نعم، سنحتاج إلى هذا التخصص. وأنت يا سيد برايس؟

قلت: موظف.

- عندي أمل كبير في أن الشركة ستجد لكما مكاناً، وسأُعلِمكما بالأمر حين نصل إلى أي نتيجة.

والآن انصرفوا واتركوني وحيداً بالله عليكم.

اندفعت تلك الكلمات من فمه كما لو أن الضغط الذي كان يمارسه على نفسه قد انفجر بقوة فجأة، فنظرت أنا وهولمز أحدنا إلى الآخر فيما خطا هال بايكروفت خطوة باتجاه الطاولة وقال: هل نسيت يا سيد بينر أنني هنا في الميعاد لأتلقى توجيهاتك؟

استأنف الآخر الحديث وهو أكثر هدوءاً فقال: بالتأكيد يا سيد بايكروفت، فلتنتظر هنا للحظة، وليس لديّ مانع من أن ينتظر صديقاك معك، وسأكون في خدمتكم بعد ثلاث دقائق إذا لم يضايقكم ذلك.

ثم قام بطريقة دمثة وانحنى لنا، ثم عبر من أحد الأبواب في نهاية الغرفة وأغلقه خلفه، فهمس هولمز: ماذا الآن؟ هل سيهرب منا؟

أجاب بايكروفت: مستحيل.

- لماذا؟

- لأن هذا الباب يؤدّي إلى الغرفة الداخلية.

- أليس هناك مخرج؟

- لا يوجَد.

- هل فيها أثاث؟

- كانت خاوية حتى أمس.

- فماذا يفعل إذن؟! في تصرّفاته شيء لا أفهمه، ويبدو عليه أنه قد فقد عقله من الرعب! فما الذي أخافه إلى هذه الدرجة؟

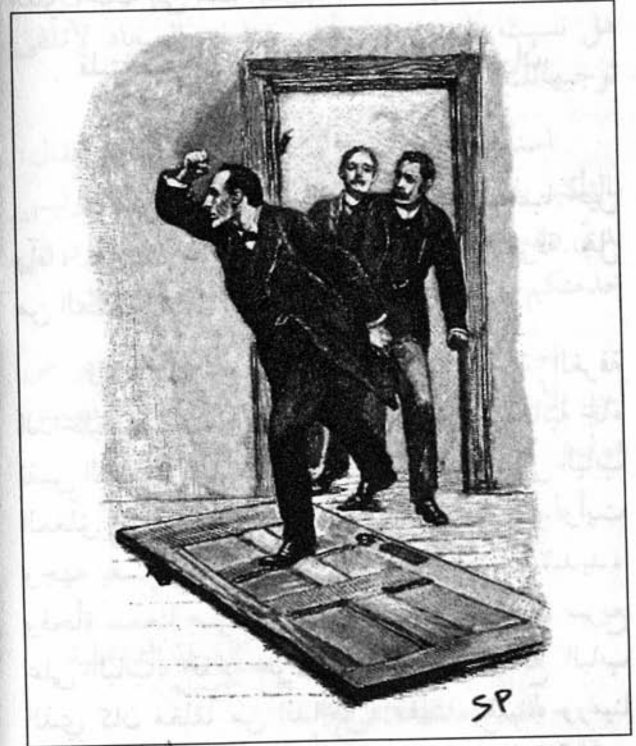
قلت مقترحاً: لعله يشكّ في أننا مخبران.

وافق بايكروفت: ربما.

هزّ هولمز رأسه وقال: لكنه لم يشحب حين رآنا، بل كان شاحباً بالفعل حين دخلنا الغرفة. هل من الممكن أن...؟

قاطع كلامَه صوتٌ حادّ من ناحية الغرفة الداخلية كصوت طرقات على الباب، ومرة ثانية جاء نفس الصوت بصوت أعلى. ونظرنا جميعاً إلى الباب المغلَق مترقبين، وحين نظرت إلى هولمز رأيت وجهه يقسو، ثم مال إلى الأمام في انفعال شديد، وفجأة سمعنا صوت قرقرة منخفضة مع خبط سريع على الباب، فقفز هولمز عبر الغرفة ودفع الباب الذي كان مغلَقاً من الداخل، فقمنا بتقليده ورمينا بأنفسنا على الباب، فكُسرت إحدى المفصّلات

ثم الأخرى، وبعدها تحطم الباب. واندفعنا فوقه فوجدنا أنفسنا في الغرفة الداخلية التي كانت فارغة، ولكن حيرتنا لم تَدُم سوى دقيقة فقط؛ ففي إحدى الزوايا كان باب ثانٍ، قفز هولمز إليه وفتحه، فوجدنا معطفاً على الأرض، ومن علاّقة خلف الباب تدلّى



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

المدير التنفيذي لشركة فرانكو مدلاند وحمّالات بنطاله حول رقبته ورأسه يتدلى بزاوية مريعة مع جسده، وكان كعبا قدميه يقرعان على الباب مُصدرَين الصوت الذي قاطع محادثتنا.

في لحظة كنت قد التقطته من وسطه وحملته، في حين قام هولمز وبايكروفت بفكّ أربطة المطّاط التي غارت في تجاعيد الجلد الشاحب. وحملناه إلى الغرفة الأخرى حيث رقد بوجه لونُه كلون الطين وهو ينفخ شفتيه البنفسجيتين إلى الداخل والخارج مع كل نفس! كان عبارة عن حطام مروّع على عكس ما كان منذ خمس دقائق مضت.

سأل هولمز: ما رأيك في حالته يا واطسون؟

انحنيت فوقه وفحصه. كان يُصدِر صوتاً ضعيفاً متقطعاً ولكن تنفّسه أخذ في التحسن، وكان جفناه يرتعشان ويُظهِران خطاً رفيعاً أبيض من عينيه.

قلت: لقد كان على وشك الموت، ولكنه سيعيش الآن. فلتفتح هذه النافذة وناولني قارورة الماء.

فككت ياقته وصببت ماء بارداً فوق وجهه، ثم قمت برفع وإنزال ذراعيه حتى أخذ نفساً طويلاً

طبيعياً، وأخيراً قلت: إنها مسألة وقت الآن.

واستدرت مبتعداً عنه، في حين وقف هولمز قرب الطاولة واضعاً يديه في جيبَي بنطاله وذقنه على صدره وقال: أعتقد أن علينا أن نستدعي الشرطة الآن، وإن كنت أعترف بأنني أريد أن أعطيهم قضيّة كاملة حين يأتون.

صاح بايكروفت وهو يحكّ رأسه: إنه لغز غامض بالنسبة إليّ! فلماذا أحضرني كل هذا الطريق إلى هنا ثم...؟

قال هولمز بنفاد صبر: هراء، كل هذا واضح بما فيه الكفاية. إنها فقط تلك الحركة الأخيرة التي كانت مُفاجِئة.

- أنت تفهم الباقي إذن؟

- الأمر واضح جداً. ما رأيك يا واطسون؟

هززت كتفي وقلت: يجب أن أعترف بأنني في غاية الحيرة.

- من المؤكَّد أنك لو قمت بدراسة الأحداث من البداية لوجدت أنها تشير إلى نتيجة واحدة فقط.

- وماذا استخلصت من كل ذلك؟

- حسناً، الأمر كله يرتكز على نقطتين، الأولى هي جعل بايكروفت يكتب الإقرار الذي دخل بموجبه في خدمات هذه الشركة الوهمية. ألا تريان كيف أن الأمر يوحي بالكثير؟

- أخشى أنني لم أفهم هذه النقطة.

- حسناً، لماذا طُلب منه ذلك؟ السبب ليس متعلقاً بالعمل، فهذه الترتيبات عادة ما تتمّ شفوياً ولا يوجَد أي سبب مهني يجعل من هذه الحالة استثناء. ألا ترى يا صديقي الشاب؟ لقد كانوا متلهفين جداً للحصول على نموذج بخط يدك، ولم يكن أمامهم سبيل آخر للحصول عليه.

- ولماذا؟!

- تماماً، لماذا؟ الإجابة على هذا السؤال ستجعلنا نحرز بعض التقدم في حل مشكلتنا الصغيرة. لماذا؟ يمكن أن يكون لذلك سبب واحد مقنع؛ فقد أراد أحدهم أن يتعلم تقليد خطك، وكان لا بد له من الحصول على نموذج منه أولاً. والآن لننتقل إلى النقطة الثانية، وسنجد أن كل نقطة تلقي

بالضوء على الأخرى، وهذه النقطة هي طلب بينر منك عدم الاستقالة من وظيفتك، وهذا سيترك مدير هذا العمل المهم في انتظار السيد هال بايكروفت الذي لم يرَه قط والذي كان على وشك الذهاب إلى المكتب صباح يوم الإثنين.

صاح عميلنا: يا إلهي! لقد كنت كالخنفساء العمياء!

- والآن بعد أن فهمت النقطة المتعلقة بخط اليد، فلنفترض أن شخصاً ما جاء منتحلاً شخصيتك وكتب بخط مختلف عن ذلك الذي قدّمت به طلب الوظيفة، عندها كانت اللعبة ستنتهي بالطبع، ولكن الشخص المزيّف استغل الوقت ليتعلم تقليد خطك، وبذلك أمّن موقفه، وأظن أنه لم يسبق لأحد في ذلك المكتب أن رآك؟

تأوه هال بايكروفت وقال: لا أحد.

- جيد، فبالطبع كان من المهم جداً منعك من إعادة التفكير بالأمر، وأيضاً إبعادك عن الاتصال بأحد يمكن أن يخبرك بأن منتحل شخصيتك يعمل في مكتب ماوسن، لذلك أعطوك مقدَّماً سخيّاً دفعةً من الراتب وأبعدوك إلى هنا حيث قاموا بإعطائك عملاً

كافياً لمنعك من الذهاب إلى لندن حتى لا تُفسِد لعبتهم الصغيرة، وكل هذا واضح بما فيه الكفاية.

- ولكن لماذا تظاهر هذا الرجل بأنه أخوه؟

- حسناً، هذا أيضاً في منتهى الوضوح، فمن الظاهر أنه يوجَد اثنان منهم فقط، أحدهما يقوم بانتحال شخصيتك في المكتب، وهذا الرجل عمل بصفته متعاقداً معك، ثم اكتشف أنه لا يمكن أن يجد لك مديراً دون إدخال شخص ثالث في المؤامرة، وهذا ما لم يكن يريده، فغيّر ملامحه بقدر ما استطاع وهو على ثقة بأنك سترّد التشابه الذي ستلاحظه بالتأكيد إلى تشابه عائلي، ومن المحتمَل أنك لم تكن لتشكّ في الأمر لولا مصادفة السن الذهبية.

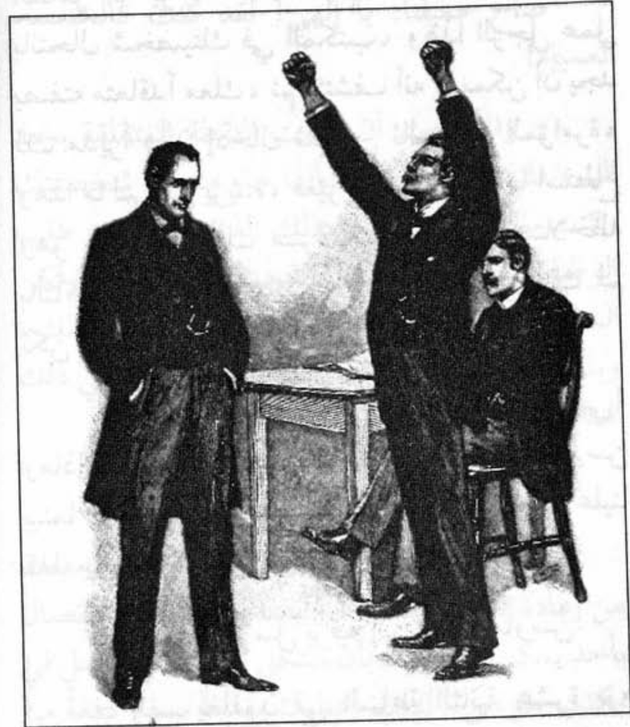
هزّ بايكروفت قبضتيه في الهواء وقال: يا إلهي! وماذا يفعل هال بايكروفت الآخر في شركة ماوسن بينما أنا هنا أُخدَع بهذه الطريقة؟ ما الذي يجب علينا فعله يا سيد هولمز؟ أخبرني ماذا أفعل!

- يجب أن نرسل برقية إلى شركة ماوسن.

- إنهم يغلقون في الساعة الثانية عشرة يوم السبت.

- لا يهمّ، من المؤكَّد أن لديهم بَوّاباً أو حارساً.

- آه، نعم، لديهم حارس مقيم لحماية السندات المالية التي يحتفظون بها حسبما سمعت في المدينة.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

- حسناً، سنبرق إليه لنعرف إذا كان كل شيء على ما يرام وإذا كان هناك موظف يعمل منتحلاً اسمك. كل هذا واضح بما فيه الكفاية، ولكن الذي ليس بنفس الوضوح هو السبب في أن يقوم أحد المجرمين فجأة من الغرفة ويذهب ليشنق نفسه على مرأى منا!

صاح صوت خلفنا: الصحيفة!

جلس الرجل ولونه شاحب مريع، وإن كان قد بدأ ينتبه لِما حوله ويحكّ بعصبية العلامة الحمراء



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

العريضة التي ما زالت تطوّق عنقه. فصرخ هولمز: الصحيفة... بالطبع، يا لي من أحمق! لقد استغرقت في التفكير بزيارتنا لدرجة أن الصحيفة قد غابت عن بالي. فلنتأكد، لا بد أن السرّ فيها.

ثم بسطها على الطاولة، وانطلقت صرخة نصر من بين شفتيه صائحاً: انظر إلى هذا يا واطسون، إنها صحيفة لندن، وهي طبعة مبكّرة من جريدة «إيفننْغ ستاندرد». ها هو ما نريد، انظر إلى العنوان: «جريمة في المدينة، جريمة قتل في شركة ماوسن وويليامز، محاولة كبيرة للسرقة، القبض على المجرم». خذ يا واطسون، نحن جميعاً في شوق لسماع الخبر، فاقرأه بصوت عالٍ لو سمحت.

بدا من موقع الخبر في الصحيفة أنه الحدث الأكثر أهمية في المدينة، وكان نصّه كما يلي:

حدثت هذا المساء في المدينة محاولة يائسة للسرقة انتهت بمقتل أحد الرجال والقبض على القاتل، وقد كانت شركة ماوسن وويليامز (وهي مؤسّسة مالية شهيرة) قيّمة على سندات مالية تزيد قيمتها على مليون جنيه إسترليني. ولإدراك المدير للمسؤولية

الملقاة على عاتقه بسبب هذا المبلغ الهائل المعرَّض للخطر فقد تمّ استخدام خزائن على أحدث نظام وتوظيف حارس مسلَّح ليكون موجوداً في المبنى ليلاً ونهاراً، وتَبيّن أنه قد تمّ تشغيل موظف جديد اسمه هال بايكروفت في الأسبوع الماضي حيث اتضح أنه ليس إلا اللص والمزوّر الشهير بيدنغتون الذي أنهى مؤخَّراً هو وأخوه فترة عقوبة مدتها خمس سنوات من الأشغال الشاقّة، وقد نجح بطريقة لم تتضح بعد في الحصول تحت اسم مستعار على هذه الوظيفة التي مكّنته من نسخ العديد من المفاتيح ومعرفة معلومات تفصيلية عن مكان الغرفة المنيعة والخزائن.

من عادة موظفي ماوسن أن يغادروا في الساعة الثانية عشرة يوم السبت، ولذلك دُهش العريف توسن (وهو من شرطة المدينة) حين رأى رجلاً محترَماً ينزل درج المبنى في الساعة الواحدة وعشرين دقيقة وهو يحمل حقيبة من القماش، وهو أمر أثار شكوك العريف فقام بمتابعة الرجل، ثم تمكن بمساعدة الشرطي بولاك من القبض عليه بعد مقاومة مستميتة.

واتضح على الفور وقوع عملية سرقة جريئة

وهائلة، فقد عُثر في الحقيبة على ما يعادل مئة ألف جنيه من سندات السكك الحديدية الأمريكية وعلى كمية كبيرة من إيصالات أسهم المناجم والشركات الأخرى، وبفحص المبنى عُثر على جثّة الحارس التعِس محشورة في كبرى الخزائن حيث لم يكن أحدٌ ليكتشفها حتى صباح يوم الإثنين لولا التصرّف الحازم للعريف توسن، وكانت جمجمة الحارس مهشّمةً من الخلف بسبب ضربها بقضيب تحريك النار المعدني. ولا شك في أن بيدنغتون قد استطاع الدخول متظاهراً بأنه نسي شيئاً في المكتب، ثم قتل الحارس ونهب الخزنة الكبيرة، وبعدها هرب بغنيمته. أما أخوه الذي عادة ما يعمل معه فلم يظهر في هذا العمل حسبما يمكن تأكيده في الوقت الحاضر، على الرغم من أن رجال الشرطة يجرون تحريات دقيقة لمعرفة مكانه.

قال هولمز وهو يلقي بنظرة عابرة على الشخص المنهَك المنزوي بجانب النافذة: حسناً، يمكننا توفير بعض المشقّة على الشرطة بخصوص هذا الأمر. إن الطبيعة البشرية مزيج غريب يا واطسون؛ فكما ترى، حتى قاتل شرّير كهذا يمكنه أن يثير مثل هذه

المشاعر لدرجة أن يحاول أخوه الانتحار عندما يعرف أن رقبته على المحكّ. على أية حال ليس لدينا خيار فيما سنفعله؛ أرجو أن تتفضل بالذهاب لاستدعاء الشرطة يا سيد بايكروفت، وسأبقى أنا والدكتور واطسون هنا للحراسة.

* * *

-تمّت-

16



The Adventures of Sherlock Holmes





مغامرات

شيرلوك هولمز

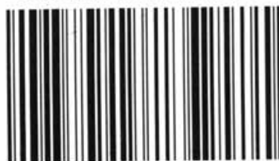
تأليف: آرثر كونان دويل

The Adventure of the Stockbroker's Clerk





ISBN 2-1957-3361-0





الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers